

مذكرات أول رئيس أركان لجيش التحرير الفلسطيني

صبحي الجابي

دمشق: منشورات العصر الحديث، 2007، 326 صفحة.

في ربيع سنة 1948، التحق 65 شاباً فلسطينياً بدورة عسكرية خاصة بجيش الإنقاذ في معسكرات قطنا القريبة من دمشق. وكانت الغاية إعداد ضباط فلسطينيين لمقاتلة قوات الهاغاناه. لكن فلسطين سقطت قبل أن يتخرج هؤلاء الشبان، فالتحقوا بالجيش السوري ومنحوا الجنسية السورية لاحقاً. وقد قيض لأفراد هذه الدورة، في معظمهم، أن يكون لهم شأن كبير في بعض المراحل، في المواقع العليا لمنظمة التحرير الفلسطينية، وفي العمل العسكري ولا سيما في جيش التحرير الفلسطيني، ثم في السلطة الفلسطينية أمثال: مصباح البديري، عبد الرزاق اليحيى، محمد الشاعر، عبد العزيز الوجيه، طاهر دبلان، علي بشناق، فايز جابر، رشيد جربوع، عبد الفتاح يونس، جواد عبد الرحيم، سمير الخطيب، عثمان حداد وغيرهم. ومع ذلك، لم يكتب مذكراته، بحسب علمي، إلا ثلاثة منهم هم: اللواء عبد الرزاق اليحيى (رام الله: مؤسسة الدراسات المقدسية، 2006)، والمقدم حسن أبو رقبة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005)، وها هو العميد صبحي الجابي يخوض في هذا الحقل بعدما تقاعس رفاقه عن هذه المهمة.

يؤرخ صبحي الجابي، بالتفصيل، للمرحلة التأسيسية التي جرى في ختامها إعلان قيام جيش التحرير الفلسطيني. غير أن عملية التأريخ هذه جاءت على طريقة اليوميات، وخالفت الطريقة التحليلية والسردية المألوفة في كتابه المذكرات أو السير. ثم إنه لا يقيم توازناً عادلاً بين الحقب التاريخية، فعلى سبيل المثال يمنح 25 صفحة فقط للمرحلة الممتدة بين سنة 1929 (سنة ولادته) وسنة 1961 (32 سنة) بما في ذلك التقديم، بينما استغرقت مرحلة إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني ودور هذا الجيش في حرب حزيران/يونيو 1967، أي من سنة 1964 إلى سنة 1968 (أربع سنوات فقط) 214 صفحة. أما المرحلة ما بين سنة 1969 وسنة 2005 (26 سنة) فقد استغرقت 3 صفحات فقط. ولعل عدم التوازن هذا لم يأت عفواً، بل كان قصدياً، إذ إن الكاتب شدد على المرحلة الأخطر في التاريخ السياسي المعاصر للشعب الفلسطيني (1964 – 1968)، وتجنب الخوض في التقلبات والصراعات التي خضعت لها مسيرة الشعب الفلسطيني منذ سنة 1970 فصاعداً، والتي أنشبت أظفارها في جسد منظمة التحرير الفلسطينية.

وفيما يتعدى ما جرى قبيل تأسيس جيش التحرير الفلسطيني الذي تولى الكاتب فيه منصب رئاسة الأركان، وكان بذلك أول رئيس لأركان هذا الجيش، فإنه يروي، في هذه المذكرات، بعض خفايا مرحلة خمسينيات القرن العشرين في سورية، وهي من أخطر مراحل الحياة السياسية، وأكثرها اضطراباً، فيكشف أن حسني الزعيم اعتقل وصفي التل قائد فوج اليرموك في جيش الإنقاذ لأن التل كان يخطط للقيام بانقلاب عسكري في سنة 1949 بالتعاون مع أنطون سعادة (ص 25)، ويعيد التذكير بالموقف الشجاع الذي وقفه بعض الضباط الفلسطينيين في الجيش السوري عندما رفضوا الأوامر بقصف قرى جبل العرب بمدافع الهاون في أثناء الأزمة مع أديب الشيشكلي في سنة 1954، وكيف أن عبد الرزاق اليحيى أصر على رفض الأوامر بقوله: "صحيح أنني ضابط في الجيش السوري، لكنني فلسطيني جئت إلى سورية لخدمة قضية فلسطين، وللقتال من أجل فلسطين، ولم أت لأحارب أياً من السوريين" (ص 35).

اللافت أن حكاية وصف التل وانقلابه ذكرها، بالتفصيل، اللواء عبد الرزاق اليحيى في "ذكرياته" (ص 48) ونقلها عنه العميد صبحي الجابي من دون الإشارة إلى ذلك على الإطلاق. ومهما يكن الأمر، فإن مذكرات صبحي الجابي تُضاف إلى ما سبقها من جهد في هذا الحقل، وستكون، إلى جانب ما سيصدر لاحقاً، مصدراً مهماً من مصادر كتابة التاريخ السياسي المعاصر للشعب الفلسطيني، ولا سيما تاريخه في المنافي العربية، وبالتحديد تاريخ الحركة الوطنية المسلحة.

ص. أ. ف.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx